العتبة العباسية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
شعبة الإعلام

سيرة مسلم بن عقيل

تأليف

الشيخ محمد البغدادي

وحدة الدراسات والنشرات

العتبة العباسية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
شعبة الإعلام
وحدة الدراسات والنشرات

كربلاء المقدسة

ص.ب (٢٣٣)

هاتف:٣٢٢٦٠٠، داخلي: ١٧٥ـ١٦٣

www.alkafeel.net
info@alkafeel.net

الكتاب: مسلم بن عقيل.

الكاتب: الشيخ محمد البغدادي.

الناشر:قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العباسية المقدسة.

مراجعة: وحدة الدراسات والنشرات / شعبة الإعلام.

التدقيق اللغوي: مصطفى كامل.

التصميم والاخراج الطباعي: علاء سعيد الاسدي.

المطبعة:دار الضياء النجف الأشرف٠٧٨٠١٠٠٠٦٠٣.

الطبعة: الأولى.

عدد النسخ: ٢٠٠٠.

ربيع الثاني ١٤٣٤-آذار ٢٠١٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا
فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ
أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ
صدق الله العلي العظيم

روايتان

من رسالة سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام لأهل الكوفة في وصفه لمسلم رضوان الله عليه :

«**وإني باعث إليكم أخي وابن عمّي وثقتي من أهل بيتي**»[1].

وعنه عليه السلام في نفس الرسالة:

«**فَلَعَمْري، ما الإمام إلّا الحاكم بالكتاب، القائم بالقسط، الدائن بدين الحق، الحابس نفسه على ذات الله**»[2].

وورد: إن علي بن الحسين عليه السلام كان يميل إلى وِلْد عقيل فقيل له: ما بالك تميل إلى بني عمّك هؤلاء دون آل جعفر، فقال: «**إنّي اذكر يومهم مع أبي عبدالله الحسين بن علي عليهما السلام، فأرقّ لهم**»[3].

(١)الإرشاد، الشيخ المفيد، جـ٢ ص٣٩.

(٢) نفس المصدر السابق.

(٣) كامل الزيارات، ص ٢١٤.

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على سادتنا المعصومين، محمدٍ وآله الغرّ الميامين.

غير خفيّ على المؤمنين ما لمسلم بن عقيل من مقامٍ فضلٍ وكرامة عند الله سبحانه، وعند النبي وآله صلى الله عليه وآله، وعند شيعة أهل البيت ومحبيّهم - تبعاً لأهل البيت عليهم السلام - عامةً.

غير أنّ هذا البخوع والتسليم لمقام مسلم وفضله، لا يمنع المرء من البحث في ثنايا حياته، والتأمل فيها ليزداد في أمره بصيرةً، وفي فضلهِ إيماناً واعتقاداً، خصوصاً ما يتعلق منها بالحركة الحسينية المظفرة.

روايتان في فضل سيدنا مسلم رضوان الله عليه

ورد بشأن مسلم:

عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، قوله لأمير المؤمنين عليه السلام، في مقام مدحه لعقيل بن أبي طالب: «**وَإِنَّ وَلده لمقتولٌ في محبّةِ وَلَدِك، فتدمع عليه عيون المؤمنين، وتُصلّي عليه الملائكة المقرّبون**».

ثم بكى رسول الله صلى الله عليه وآله حتى جرت دموعه على صدره، ثم قال: «**إلى الله أشكو ما يلقى عترتي مِن بعدي**»[1].

وعن الإمام الحسين عليه السلام: -إذ ذُكر مسلمٌ بحضرته، فاستعبر باكياً، ثم قال: «**رحم الله مسلماً، فلقد صار إلى رَوح الله وريحانه، وتحيَّتِه ورضوانه، أما إنّه قد قضى ما عليه، وبقي ما علينا**»[2].

وتحدّث عنه من أعلام الطائفة، من يمثّل موقفها:

إذ ذكر السّيد الخوئي قدس سره: وكيف كان فجلالة مسلم بن عقيل وعظمته فوق ما تحويه عبارة، فقد كان بصفّين في ميمنة أمير المؤمنين عليه السلام مع الحسن والحُسين وعبد الله بن جعفر[3].

وذكر الشيخ المامقاني قدس سره مسلماً بقوله: وهو سيّد السعداء، وأوّل الشهداء، وسفير سيّد الشهداء عليه السلام إلى أهل الكوفة، وجلالته ممّا لا يفي بها قلم، ولا يحيط بها رقم.

---

(١)أمالي الشيخ الصدوق، المجلس السابع والعشرون.

(٢)الملهوف، السيد ابن طاووس، ص ١٣٤.

(٣)معجم رجال الحديث، السيد الخوئي، جـ١٨ ص١٥٠.

ثم ذكر الحديث المتقدم عن النبي ﷺ في شأن مسلم وقال:-

و أقول: كونه في أعلى درجات العدالة والثقة مما لا يرتاب فيه ذو مسكة، كيف وإرسال الحسين عليه السلام إيّاه سفيراً ورسولاً مِن أعظم البراهين على ثقته وعدالته، وكان عمره الشريف حين استُشهد ثمانية وعشرين سنة، عاش مع أبيه ثمانية عشر سنة، وبعد أبيه -إلى أن قُتل- عشر سنين، واستُشهد في اليوم الثامن أو التاسع من ذي الحجّة سنة تسع وخمسين [1].

وممّا ذكره السيّد الخوئي قدس سره من حضور مسلم في وقعة صفين مقاتلاً، يظهر ما في كلام الشيخ المامقاني قدس سره مِن أنّ عمر مسلم حين استشهاده ثمانية وعشرين سنة، إذ مع فرض ثبوت ما ذكره السيد الخوئي من حضوره في صفين فلابُدّ أن يكون عمره يومذاك ما لا يقلّ عن العشرين سنة وما بين حرب صفين واستشهاد مسلم أكثر من عشرين سنة فيكون عمره حين استشهاده رضوان الله عليه ما بين الأربعين والخمسة والأربعين سنة -في الأقلّ-، وأين هذا ممّا ذكره الشيخ المامقاني قدس سره، ونؤكد على أنّ السيّد الخوئي قدس سره أرسل حضور مسلم في صفين إرسال المسلّمات - بحسب ظاهر كلامه- وإن ختم كلامه بنسبة ما ذكره إلى ابن شهرآشوب في المناقب.

كما إنّ ما ذكره الشيخ المامقاني قدس سره مِن دلالة إرسال الإمام عليه السلام لمسلم كسفير له إلى الكوفة على ثقته وعدالته فمما لا ريب فيه، بل هو دالٌّ على أكثر من هذا - كما سيأتي - إذ ظروف الحركة الحسينيّة ومصيريتها: للإسلام، والإمام عليه السلام، والأمة، تقتضي اختيار من حاز المراتب الرفيعة، وتوفّرت فيه خِصالٌ وملكات، لا تتوفّر إلاّ في الأوحديّ من المؤمنين والربانيّين، فما التزمه السيّد الخوئي قدس سره من عدم دلالة توكيل الإمام لشخصٍ على عدالة ذلك الشخص[2] ممّا لا يشمل المقام بقرينة خصوصيّة القضيّة الحسينيّة وظروفها.

(١)تنقيح المقال، الشيخ عبد الله المامقاني جـ ٣ ص٢١٤.

(٢)معجم رجال الحديث، جـ ١ ص٧٥.

وقالوا[1] فيه رضوان الله عليه أيضاً :

أرسل الحسين عليه السلام مسلم بن عقيل إلى الكوفة، وكان مثل الأسد.

ولقد كان من قوّتِهِ أنّه يأخذ الرجل بيده فيرمي به فوق البيت.

وفي هذا ما يصلح للردّ على ما قد يتوهمه المرء من موقفٍ لمسلم رضوان الله عليه وهو في طريقه إلى الكوفة، ولعل جواب الإمام عليه السلام، لشدّ أزره ولكي يأخذ الأمور بالحزم والحسم -على فرض ثبوت أصل القضيّة، وتفاصيلها-.

(١) بحار الأنوار، الشيخ المجلسي، جـ٤٤ ص٣٥٤.

تساؤلات

وبسبب ما آلت إليه الأحداث في النهضة الحسينيّة المباركة، فقد طرُحت عِدّة من التساؤلات، في محاولةٍ لإستكناه جوهر الحركة الحسينيّة وهدفها، ومدخليّة مسلم رضوان الله عليه في مجريات الأحداث، المتقدّمة على ورود الإمام عليه السلام إلى الكوفة.

أصل الحاجة إلى مبعوث

التساؤل الأول: إن أهل الكوفة كاتبوا الإمام سنين كثيرة، وأرسلوا وفودهم، واكّدوا -مراراً- إستعدادهم لنُصرته، ولمجاهدة عدوّه حتى يتحقّق الهدف المنشود، فَلِمَ لَمْ يكتفِ الإمام عليه السلام بتلك المراسلات والوفود، ويتوجّه فوراً إلى الكوفة بعد هلاك معاوية لِلأخذ بزمام الأمور، بل اختار -صلوات الله عليه وسلامه- إرسال مبعوث عنه أوّلاً.

إن الإمام الحسين عليه السلام عاش في الكوفة قُرابة الخمس سنوات أيام حكم والده أمير المؤمنين عليه السلام، وحكم أخيه الحسن عليه السلام، فهو على درايةٍ تامة واطلاعٍ وافٍ بحال الكوفة وأهلها في جميع جوانب الحياة عن معاشرةٍ ومعاينة، ومن جملة ما عاينه منهم:

تكاسلهم وتقاعسهم عن النهوض مع والده وأخيه في تحرّكهما الجهادي لدفع غائلة بغاة الأمة - الناكثين والقاسطين والمارقين - ولتشتيت جمعهم وللقضاء عليهم، بل غدرهم وعنادهم وتحدّيهم السافر لأوامرهما وتوجيهاتهما، حتى بلغ الأمر بأمير المؤمنين صلوات الله عليه أن يُظهر الشكوى منهم على المنبر ويصّرح بمعاناته منهم مراتٍ كثيرة فما أظهروا ندماً ولا حرّكوا ساكناً حتى آل الأمر إلى استشهاد الوصيّ، وترك المجتبى عليه السلام الإمساك بزمام الأمور في بلاد الإسلام مع إنّ البيعة التي حصلت للإمامين -الوصي والمجتبى عليهما السلام- مما لم تحصل لأحد قبلهما إذ بايعتهما الأمة عن طواعيةٍ تامة ورغبةٍ وقد ورد عن الوصي عليه السلام في بيعة الناس له يومذاك وبلغ مِن سرور الناس ببيعتهم إيّاي أن

ابتهج بها الصغير، وهدج إليها الكبير، وتحامل نحوها العليل، وحسرت إليها الكعاب[1] وعنه عليه السلام فما راعني، إلاّ والناس كعُرفِ الضَّبُعِ إليّ، ينثالون عليّ مِن كُلّ جانب، حتى لقد وُطئ الحسنان، وشُقَّ عِطفاي، مجتمعين حولي كَربيضة الغنم[2] ومع هذه الطواعية والرغبة فقد غدرت الأمة بالإمامين، الأول وصيّ النبي صلى الله عليه وآله بالنّص، والثاني خليفته وإمام أمته بالنصّ.

فإذن لم يكن غدر الكوفيين، وتقاعسهم عن الإمام بجديد، هذا مِن جانب.

ومن جانبٍ ثان: هو عليه السلام يعلم بعلم مكتسب من رسول الله صلى الله عليه وآله بان أهل الكوفة سيغدرونه كما غدرت الأمة بأبيه وأخيه، وبأنهم قاتلوه، وقد صرّح بهذا في موارد كثيرة فكان عليه السلام بين أمرين:

الأمر الأول: لزوم النهضة والقيام ضدّ الفئة الحاكمة المرتدّة، والاستجابة لاستغاثات أهل الكوفة المستضعفين من تلك الفئة، بعد عشرين عاماً من القتل وسمل الأعين وهدم الدور والتشريد ومختلف ألوان المظالم.

والأمر الثاني: ترك النهضة لعلمه بغدر أهل الكوفة، وبتآزرهم مع عدوه مستقبلاً إلى أن يقتلوه.

فاختار الأول، لكن كان لابُدّ من استعمال مختلف الأساليب لتأكيد مضامين مراسلاتهم وعهودهم-ظاهرياً- تثبيتاً للحجة عليهم في الدنيا، وأمام الحكم العدل في الآخرة.

ومن جملة الأساليب: إرسال مبعوث عنه إلى الكوفة يستطلع أوضاعها ويتأكد من صحة مضامين الرسائل، والأخبار المنقولة إليه، حتى يتخذ قراره الذي يدفعه إليه التكليف الإلهي، وهكذا كان، واختير مسلم رضوان الله عليه لهذه المهمة الخطيرة والمصيرية.

---

(١)نهج البلاغة، السيد الرضي، الخطبة ٢٢٩.

(٢)نفس المصدر، الخطبة ٣، وهي الشقشقيّة.

اختيار مسلم

التساؤل الثاني: عن الوجه في اختيار مسلم بالذات، مع توفّر مجموعة من الهاشميين وغيرهم –من أصحاب المعصومين عليهم السلام– ممّن لهم مهارات وكفاءات تؤكدّ صلوحهم لهذه المهمة ولعلّ جهودهم تُفرز نتائج أفضل مما انتهت إليها مهمة مسلم رضوان الله عليه.

ومن جملة أسباب إثارة هذا التساؤل إضافةً إلى ما تقدّم ذكره :

١. صِغر عمر مسلم –٢٨سنة – مع جسامة المهمة ومصيريتها.

٢. أن مسلماً لم يكن متحمساً لهذه السفارة بل طلب الإقالة منها.

٣. النتائج التي آلت إليها حركة مسلم في الكوفة تؤكد عدم تأهله لهذه السفارة.

أقول: التساؤل – بهذه الصيغة – يتوجّه إلى الإمام الحسين عليه السلام، والجواب عنه :

إنّ هذا الإشكال مبتور الأساس بالنسبة لمن يعتقد بعصمة الإمام الحسين عليه السلام وأنّه مسدّد من الله سبحانه في كل أنحاء سلوكه فلا احتمالية في خطأه واشتباهه أصلاً لما ثبت من أدلّةٍ قطعيةٍ على عصمته، دوّنتها كتب عامة الأمة من شيعة وسُنّة على اختلاف تشعباتهم فاختيار الإمام لمسلم عليه السلام إن لم يكشف عن تأهّل مسلم لهذه السفارة واقعاً، فإنّه دالّ –بلا ريب– على وجود مصالح واقعية تقتضي تعيين مسلم وإن لم يظهر وجهها لنا.

وبالنسبة لغير المعتقد بعصمة الإمام الحسين عليه السلام –وهو أحد الثقلين، وسفينة نجاة الأمة بنصّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله كما ورد في كتب الفريقين–: فإن الجواب عما تقدّم بالوجوه الآتية:

١. أمّا صغر عمره المبارك، فله جوابان: نقضي وحلّي.

فإن الذي لم يمنع أُسامة بن زيد من توليّ منصب قيادة جيش المسلمين لفتح الشام وفي جيشه عامة المهاجرين والأنصار – بما فيهم أبي بكر وعمر – وكان عمر أُسامة يومذاك سبعة عشر سنة، فلا يصلح مانعاً لمسلم عن تولّي مهمة استكشاف أوضاع

الكوفة وأخذ البيعة للإمام مِن أهلها، والكتابة إلى الإمام بما يرى ويسمع مع إن مسلماً اكبر بأحد عشر عاماً – حسب تقدير عمره بثمانٍ وعشرين عاماً – من أُسامة.

والمهام المطلوبة من أُسامة والمسؤولية المُلقاة على عاتقه أعظم بكثير مما هو مطلوب – بحسب أصل التكليف الحسيني – من مسلم رضوان الله عليه.

على أن توليّ الشباب للمناصب الهامة والخطيرة كثير في طول التاريخ وكم من شابٍ تولّى مهمة عظيمة ونجح في مراده النجاح المطلوب وكم مِن كهلٍ وشيخٍ مسنّ أخفق في تحقيق مَرامه حتى في صغائر الأمور، ولعلّ هذا من الواضحات والوجدانيات.

ما تقدّم كُلّه نقضاً، وأمّا حَلاًّ: فقد قدّمنا القول أن كون عمره المبارك ثمانية وعشرين سنة غيرُ مسلّمٍ بل هو قولٌ في ميدان التحقيق وهناك رأي آخر يترتب على ثبوت حضوره في معركة صفين وهو الذي ذكره السيد الخوئي قدس سره وغيره ويقتضي كون عمره عند بعثه إلى الكوفة وكذا عند استشهاده قُرابة الخمسة والأربعين سنة، فالإشكال – على هذا – غير واردٍ من الأساس.

ثم إن: سلوكه وسيرته وطريقته في إدارة عمله وفي مجريات الأحداث عموماً إلى حين استشهاده تدلّ على توفّر كفاءات عاليةٍ فيه، وقدرةٍ على ممارسة الصعاب والمهامّ الجسام، وحنكةٍ ودراية بمرتبةٍ سامية وفق عقيدة صلدة، وتمسُّكٍ بتعاليم الدين عزّ نظيره. أي إنّ خروجه عن نظرية عدم استحقاق الشباب لتوليّ المسؤوليات المهمة – لو سلّمنا بها ولا نُسلّم – على نحو التخصيص وذلك لتوفّر الملكات والخصال المقتضية لتعيينه ولتقديمه على جميع بني هاشم والصحابة ممّن لا تتوفر فيهم مؤهلاته مجموعاً وإن تفرقت في نُخبتهم.

ثم إنّ بني هاشم: منهم البصير كابن عباس أو المريض كعبد الله بن جعفر ومحمد بن أمير المؤمنين عليه السلام، ومن كبا في غير مقام كعبيد الله بن العباس إذ فرّ من اليمن يوم هجوم جيش معاوية عليها وكان عبيد الله هذا والياً هناك وكذلك غَدَرَ بالإمام الحسن – مع أنه قائد جيشه – وتحوّل إلى معاوية قبل صلح الإمام عليه السلام – على ما روي – وهكذا...

وأمّا غير بني هاشم: فلما قُلنا من عدم اجتماع مؤهلاته في واحد منهم، ومنها: كونه أحد أفراد البيت الهاشمي وعلى علاقةٍ نسبية وسببيّة بأهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً بنصّ القرآن العزيز.

أما علاقته النسبية فهو حفيد أبي طالب عم النبي الأكرم ﷺ وابن عقيل أخو أمير المؤمنين عليه السلام، وهو ابن عم الحسن والحسين..إلى آخر ارتباطه النسبي بأطراف البيت النبوي.

وامّا علاقته السببية: فهو صهر أمير المؤمنين على ابنته رقيّة، وهو بالنتيجة صهر الحسن والحسين كذلك.

وموقعه النسبي والسببي هذا، يوفّر لـه -بلا ريب- مكانةً مهمة في نفوس أهل الكوفة مما يُعينه على إتمام مهمته بالوجه الأكمل، إذ العرب تهتم جداً بهذا الشكل من الارتباط وتعتني به وترتّب عليه آثاراً أكثر مما تهتمّ بالعناوين الأخرى فكيف إذا كان مسلمٌ حائزاً لتلك العناوين مع الزيادة النسبية والسببية مما يُعطي لحركته دفعاً أكبر في طريق النجاح، فأمّا عدم نجاحه فليس لعدم تأهّله بل لخصوصية الغدر وحب العافية في أهل الكوفة ولخصوصية الفئة الحاكمة في الغدر والبطش، وَفِعْلِ أَيّ شيءٍ مهما بلغت خسّته ورذالته في سبيل الوصول إلى النتائج المرجوّة لهم.

٢.وأمّا عدم تحمّسه لهذه السفارة وطلبه الإقالة منها: فهذه دعوى مردودة على مدّعيها ولا دليل ذي بالٍ في البين غير رسالته من الطريق عند موت الدليلين -وهي غير ثابتة- ومع فرض ثبوتها: فلما رآه مما اعتبره نذير شؤم، والشُؤم متوقع، إذ إن النبي صرّح مراراً بأنّ ولده الحسين مقتول، والحسين عليه السلام كان يصرّح بهذا مِراراً غير إن على المرء أن يعمل بتكليفه، وإن كان نتيجة التكليف إلقاء النفس في المهالك -كالخروج إلى الجهاد-، ولذلك أصرّ عليه الإمام عليه السلام في مواصلة المسير، وشدّ مِن عزمه وهِمّته، وقد كتب مسلمٌ بمواقفه وتضحياته الملاحم فيما بعد، ورفع روؤس أهل الإيمان عالياً، وأضحى مَعْلَماً من معالم الهداية في طريق الله.

٣. وأمّا عدم تأهله للسفارة لكشف ما آلت إليه الأحداث في الكوفة عن هذا: فالعكس هو الصحيح تماماً، ومسلمٌ كان على مستوى الحدث، وقد أدّى تكليفه وزيادة، وفعل كل ما نالته يد قدرته، والنتائج لا يعلمها أحد – غير المعصوم المسدّد من الله سبحانه – كي يرتّب خططه وتحركاته على أساسها، والعيب ليس فيه بل في جهتين: غدر الكوفيين، وبطش الأمويين.

أمّا تفصيل ما يدلّ على حُسْنِ إدارته للأحداث وكفائته في هذا الجانب فممّا لا يسع المجال التّعرض له وقد ذكرنا منه شطراً في كتابنا – مسلم بن عقيل – ويستطيع المرء من خلال ما كُتب عن مسلم رضوان الله عليه أو من خلال تأمّله الدقيق في مسيرة حركة مسلم ووجه تعامله مع الحدث بالوجه الكذائي، أن يصل إلى نتيجةٍ مرضيّة تؤكّد صحّة ما قلناه وقدّمناه، ومسلم رضوان الله عليه قد سجّل صفحته المُشرقة بكفاحه وتضحياته ودمه المقدّس، وما كتاباتنا الاّ مرآة لتلك الصفحات الكريمة.

الإسراع بالكتابة إلى الإمام عليه السلام

التساؤل الثالث: أُورد على مسلم رضوان الله عليه إسراعه بالكتابة إلى الإمام، وفي كتابه: شرح حال أهل الكوفة مِن صدقهم في معاهدتهم للإمام عليه السلام، وصلاحيتهم لاعتماد الإمام عليه السلام عليهم، وإعطاء ثمانية عشر ألفاً منهم البيعة للإمام الحسين عليه السلام –عن طريق مبايعتهم لمسلم–، وطلبه من الإمام الاستعجال بالحضور إلى الكوفة.

ووجه الإيراد: أنّ أهل الكوفة انقلبوا سريعاً على مسلم ولمّا يحضر الإمام بعد، كما لم تبدأ المنازلة مع الدولة، فأيّ صِدقٍ هذا منهم وأي تصميم وأيّة وعود وعهود وكيف اطمئنّ منهم مسلمٌ بهذه السُرعة، فيظهر أنّ تشخيصه لحقيقة حالهم لم يكن دقيقاً بالمقدار المطلوب – وهذا مما يُؤكّد عدم تأهّله لهذه المهمّة –.

والجواب: إنّ جمعاً مهماً من أهل الكوفة اعترضوا على الإمام الحسن عليه السلام صُلحه مع معاوية حتّى أسمعوه قارص الكلام.

وبعضهم كاتب الإمام الحسين عليه السلام بعد الصلح يدعونه: للإعراض عن الإمام الحسن عليه السلام وصُلحه مع معاوية، وللعودة إلى حالة الحرب، وأكّدوا له مساندتهم إياه ومعاضدتهم له، الاّ إن الإمام الحسين عليه السلام رفض هذا رفضاً قاطعاً لأن الإمام الحسن إمام الأمة -والإمام المنصوب من الله ورسوله واجب الطاعة سواء قام أو قعد، ونهض بالثورة أم صالح واعتزل، وعقيدة أهل البيت وشيعتهم على هذا بل هذا حكم الله وقانون الإسلام الحقيقي- ويجب على الجميع إطاعته والالتزام بأمره ونهيه، الإمام الحسين عليه السلام فمن دونه بلا أيّ فرق، فأعلن سيد الشهداء عليه السلام بهذا التزامه المطلق بصلح الإمام الحسن السبط عليه السلام.

ثم ابتدأت مرحلةٌ جديدة من الكتابة إلى الإمام الحسين عليه السلام، ومن الوعود والعهود بعد استشهاد الإمام الحسن عليه السلام وارتحاله إلى ربّه المتعال.

فقد نقل الشيخ المفيد قدس سره: لمّا مات الحسن بن علي عليهما السلام تحرّكت الشيعة بالعِراق، وكتبوا إلى الحسين عليه السلام في خلع معاوية والبيعة لـه، فامتنع عليهم، وذكر أنّ بينه وبين معاوية عهداً وعقداً لا يجوز له نقضه حتّى تمضي المُدّة، فإن مات معاوية نظر في ذلك[1].

وكانت المرحلة الأخيرة من المكاتبات والعهود والأيمان المغلّظة ما ابتدأ بموت معاوية وإعلان الإمام تمسكّه بعدم مبايعة يزيد كما لم يُبايعه أيام معاوية مع إن الأمور بلغت يومذاك إلى حدّ قتله صلوات الله عليه.

وحين ابتدأت هذه المرحلة فإن آلاف الرسائل قد وصلت إلى الإمام عليه السلام محمولة بيد وجهاء الكوفة وزعمائها، والرسائل تشرح والزعماء يؤكدون على صدق أهل الكوفة وواقعية معاهدتهم للإمام واستماتتهم في تحقيق أهدافه مِن إزاحة بني أمية وإقامة حكم الله في الأرض وإعادة الأمور إلى نِصابها كما كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وإرجاع الأئمة من أهل البيت عليهم السلام إلى موقعهم الصحيح في قيادة الأمة والخلافة عن رسول

(١)الإرشاد، الشيخ المفيد، جـ٢ ص ٣٢.

الله ﷺ – والمتوفر من الأدلة على حصر الخلافة بهم عن رسول الله ﷺ في كتب الشيعة والسُنّة ما لا يُحصى– وعودة الاستقرار والأمان إلى ربوع بلاد الإسلام كافة، وانجاء المسلمين والشريحة المؤمنة الواعية منهم خاصة من بطش بني اميّة ومجازرهم، وتخليص أهل الكوفة بالخصوص من ألوان التعذيب والتنكيل والإجرام ممّا لم يجرِ على أهل بقية بلدان الإسلام.

بعد كل ما تقدّم: أرسل الإمام عليه السلام مبعوثه إلى الكوفة مسلم بن عقيل وزوّده برسالةٍ إلى أهلها ليتأكد من حقيقة موقفهم من خلال تشخيص مسلم، ولما وصل مسلم إلى الكوفة لم يكتف باستعلام موقفهم بل أخذ البيعة عليهم فبايعه وعاهده في فترةٍ قليلة ثمانية عشر الفاً، فبعد كل ما تقدّم: يبعث مسلم برسالته إلى الإمام ليؤكد له صحة موقف أهل الكوفة و يطلب من الإمام الإسراع بالحضور إليها.

فأيّ تثبّتٍ اعظم من تظافر ما تقدّم ذكره على أمرٍ واحد طيلة قُرابة العشرين عاماً.

ثُمّ، وأمر آخر مهمّ: إنّ وضع الكوفة استمر على هذا بل أكثر ألاّ إن شيئاً طرأ مما قلب مجرى الأحداث رأساً على عقب وهو حضور الطاغية عبيد الله بن زياد إلى الكوفة لغرضٍ واحدٍ فقط هو: مواجهة الحركة الحسينية والقضاء عليها بكُلّ حيلةٍ ووسيلة، وطبيعيّ لما كان المكلّف بالمهمة هو ابن زياد فانّ طرائِقه معروفة، وما عسى أن يترشّح عن إناءٍ كُلّه رذالةٌ وخِسة.

فلو لا حضور هذا الطاغية لاستمرّ الحال كما يُرام وكما شهده مسلم أوّل حضوره.

فتشخيص مسلم كان في محلّه تماماً، وكان الإسراع بالكتابة أحسن من تأخيرها إلاّ أنّ حركة الدولة المتجبرة كانت أسرع إذ كتب يزيد إلى ابن زياد – والأخير في البصرة–: إن كان لك جناحان فَطِر إلى الكوفة[1].

(١)حياة الإمام الحسين عليه السلام، الشيخ القرشي، جـ٢ ص٣٥٤.

توسعة مسلم لمهامّ عمله

التساؤل الرابع: إنّ الإمام الحسين عليه السلام قد كلّف مسلماً رضوان الله عليه بمهمةٍ محدّدةٍ ضيّقة المساحة، وهي استعلام موقف الكوفة، والكتابة إليه بواقع الحال، كي يتخذ الإمام قراره، فلم وسّع مسلمٌ دائرة عمله فأخذ البيعة من الناس، وتصدّى لتوجيه الأوضاع، وأخذ بجمع المال والسلاح والرجال، ثم انتهى إلى البدء بالمواجهة مع الدولة بعد اعتقال هاني بن عروة وهي الخطوة التي أدّت إلى العدّ التنازلي لاصطفاف أهل الكوفة مع الإمام عليه السلام وانعكاس مسار الأحداث.

إن حصر تكليف الإمام لمسلم بمجرّد استعلام موقف أهل الكوفة دعوى بلا دليل كاف يدلّ على الحصر، نعم مضمون رسالة الإمام عليه السلام إلى أهل الكوفة هو تكليف مسلم بهذا، إلاّ انه يُحتمل وجود رسائل أخرى أو أوامر شفهيّة زوّد الإمام عليه السلام بها مسلماً قبل تحرّكه إلى الكوفة ولم يذكُر مسلمٌ مضمونها لأحد وبقيت مخزونة في صدر مسلم رضوان الله عليه كما هو المتعارف في مثل هذه الحالات والظروف.

ثُمّ إن موقع مسلم كممثلٍ للإمام عليه السلام -وإن كان اصل تعيينه لمهمةٍ محدّدةٍ فرضاً - وكمتدين واعٍ حريص على دينه وإمامه وأُمّته، يقتضي منه التصديّ لبعض مهامّ الأمور وإن لم يك مكُلّفاً بها شخصاً، فإذا بدأت الأمور تؤول إلى الانهيار وصار الإسلام أو الإمام في موضع خطر فعلى كُلّ فَرْدٍ رَدُّ عادية الخطر عن الدين والإمام وإن لم يكن مُكَلّفاً شخصاً بهذا، وكذلك إن كانت الأمور تحتاج إلى الضبط، فينبغي لمسلم أن يعمل لتحقيق حالٍ أسلم لمسيرة الإمام ولنهضته المقدسة، لا أن يقف مُراقباً لحركة الحدث الاتفاقيّة حتى تقع الواقعة، ومسلم حاول أمرين: تحقيق حال أفضل لمسيرة الإمام عليه السلام، كما حاول إيقاف الانهيار الذي ابتدأ باعتقال هاني، وفَعَلَ مُسْلِمٌ كُلّ ما في وسعه، حتى دفع حياته المقدّسة ثمناً للحفاظ على الوضع قدر الإمكان، وهذا المطلب يطول البحث فيه، ومجمله ما تقدّم.

الإيمان قيد الفتك

التساؤل الخامس: لِمَ امتنع مسلمٌ عن قتل ابن زياد في دار هاني، ولو فعل لانتهت مأساة الأمة، وسارت الأحداث في طريق ثانٍ.

ذُكِرَ – لوجه امتناعِ مسلم عن قتل ابن زياد – أسبابٌ ثلاثة:

١. إن النبيَّ ﷺ قال: «**الإيمان قيدُ الفتك**» فلا يصحّ قتل ابن زياد بهذه الطريقة.

٢. رفض هاني لقتل ابن زياد في داره.

٣. توسّل امرأة هاني بمسلم كي لا يقتل ابن زياد في دارهم.

والسببان الأخيران يعودان إلى كون مسلمٍ في دار هاني فلا تقتضي منه المروءة القيام بمثل هذا العمل الخطير في داره إذ أنّ قتل ابنِ زياد سيؤدي إلى وقوع مجزرة في عائلة هاني الخاصة وفي عشيرته، من طرف جُند ابن زياد المرافقين لـه، بينما يُمكن معالجة الأمر بالظفر بابن زياد في يومٍ ثانٍ وفي مكانٍ آخر، والقضيّة ما زالت في بدايتها.

إنّ حفظ الإمام المعصوم عليه السلام والإسلام، أهمّ مِن كُلّ شيء، فلا يُزاحمهما إباء هاني أو زوجته، أو احتمالية توجّه الخطر إلى عائلة هاني وعشيرته، فكل هذه العناوين فداء للإمام المعصوم – خليفة الله سبحانه والرسول الأكرم ﷺ – لكنّ توقف حفظ الإسلام والإمام على قتل ابن زياد في خصوص هذه المرة – أي في دار هاني عند حضور ابن زياد لعيادة شريك – مما لم يتضحّ، وذلك لإمكانية اصطياده في مرحلة متقدمة من الصراع بسهولة، إذ لم يكن هناك من جيشٍ شاميّ بإمرته، وكان عامّة الذين بركابِهِ وطوع أمره من أهل الكوفة، وهم مستعدّون للعصيان وللثورة فور مجيئ الإمام السبط عليه السلام فالوضع بظاهره ولحدّ الآن سهل وتحت السيطرة – خصوصاً انّه لم يكن هناك أمر محدّد من الإمام ببدء المواجهة أو بقتل ممثلي السلطة، بل إن عدم البدء بالمواجهة من المبادئ الواضحة للإمام الحسين عليه السلام ولمن تقدّمه مِن أهل العصمة عليهم السلام –.

وتدهور الأمور سريعاً، وانقلاب الأوضاع رأساً على عقب، ممّا لا يُمكن حسابه، ولا يستطيع مسلمٌ ولا غيره – باستثناء المعصومين عليهم السلام – من استكشاف ما ستؤول إليه

الأحداث كي يرتّب مقدمات تحرّكه على أساسها: ﴿**وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ**﴾[1].

وكل من يدّعي غير هذا فليدفع عن نفسه ما لا يرتضيه من عواقب.

إنّ الأمور كانت إلى صالح النهضة الحسينية إلى حدّ كبير، غير إن الوضع انقلب فجأة وسارت الأحداث نحو التدهور سريعاً، وَ غَدَرَ أَهَلُ الكوفة بسرعةٍ غير متوقعة وبشكل لا نظير له في تأريخ الدنيا، إذ تركوا مسلماً وحيداً ولم تتجاوز الحركة يومها الأول ومن دون أن تواجههم قوّة مسلحة، والكيان الحاكم متضعضع، لموت معاوية، ولعدم ارتضاء يزيد في دست الحكم من جماعات كثيرة، والإمام الحسين في طريقه إلى الكوفة ومعه آلاف، وجيش البصرة مستعدّ للحركة نصرةً للإمام عليه السلام- وقد تحركّ فعلا فيما بعد، قبل استشهاد الإمام عليه السلام الاّ أنّه لم يصل، لبلوغه خبر الاستشهاد- ومكة على أُهبة الاستعداد لإعلان الثورة، والمدينة المنورة تغلي وهكذا... فالأمور كلها تبشّر بالخير، غير أنّ أمرين قلبا الأوضاع: اعتقال هاني، وغدر الكوفيين، مما أبقى مسلماً وحيداً وسهّل اعتقاله وإعدامه، فتحوّل الكوفيون إثرها من جندٍ متحفّز للانقضاض على يزيد تحت راية الإمام الحسين عليه السلام، إلى جندٍ يسير تحت راية يزيد وابن زياد لقتل أمل الأمة المعذَّبة وخليفة الله ورسوله، خامس أصحاب الكساء، وآية التطهير وآية المودة وآية المباهلة وما لا يُحصى من الآيات والروايات الشريفة.

أقول: فكيف يستكشف مسلمٌ أنّ هذه فرصته الأخيرة للقضاء على ابن زياد حتى يقدّم على هذا الأمر كل تكليفٍ واعتبار.

هذا كُلّه بناءً على أن توقفه عن قتل إبن زياد لطلب هاني أو زوجته.

والبيان المتقدم ينفعنا أيضاً فيما يتعلق بتوقفه لأجل رواية – الإيمان قيد الفتك –.

ونزيد عليه ما يلي:

---

(١)سورة الأعراف، الآية ١٨٨.

إنّنا قد تعرّضنا لهذه الرواية بشيء من التفصيل في فصل خاص من كتابنا – مسلم بن عقيل –.

وقد توصلنا في بحثنا هناك إلى أنّ هذه الرواية الشريفة مما توفرت الحجة الشرعية للحكم بثبوت صدورها عن النبي الأكرم ﷺ، فلا نقاش في أصل صدورها، وإنما الكلام في مفادها، والمساحة التي تعمل فيها.

ومما توصلنا إليه: دلالة الرواية على تحريم الفتك، إذ أنها تفيد ارتباط المؤمن بإيمانه ما لم يصدر منه فتك، فإذا فتك انحلّ قيد ارتباطه بإيمانه، ومفادها على هذا مقارب لمفاد الروايات الشريفة الناطقة بأنه: «**لا يزني الزاني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق وهو مؤمن**»[1] ولمفاد: «**من زنى خرج من الإيمان ومن شرب الخمر خرج من الإيمان، ومن أفطر يوماً من شهر رمضان متعمّداً خرج من الإيمان**»[2] ومفاد هذه الروايات الشريفة هو الحرمة لانسلاخ المؤمن عن إيمانه إذا ارتكب الفعل المتقدم وهو أمارة الحرمة، بل استفاد بعض الأعلام منها كون هذه الجرائم من كبائر الذنوب، فيكون المفاد في الرواية –محلّ البحث– كذلك للتساوي في المفاد بينها من هذه الجهة.

يبقى الكلام في تحديد معنى الفتك، ولا نرتضي ما فسّره به بعض اللغويين، والموضوع طويل ويحتاج لإسهاب في البيان ولسرد الأدلّة المتنوعة، وليس المقام ممّا يسمح به، فنؤجله لفرصةٍ أخرى لعلها أنسب وأفسح –إن شاء الله تعالى– غير أننا لا يفوتنا أن نقول:

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**وما يَغْدُرُ مَنْ عَلِمَ كَيْفَ المَرْجِعْ، ولقد أصبحنا في زمانٍ قد اتّخذ أكثَرُ أهلِه الغَدْرَ كَيْساً، ونسبهم أهلُ الجهل فيه إلى حُسن الحيلة، ما لهم قاتلهم الله، قد يرى الحُوّل القُلّب وجه الحيلة، ودونها مانعٌ مِنْ أمر الله ونهيه فيدعها رأيَ عينٍ بعد**

(١) وسائل الشيعة، جـ٥ ب٤٦ من أبواب جهاد النفس ح١٨، ح١٩.

(٢) وسائل الشيعة، جـ١٥ ب٤٦ من أبواب جهاد النفس ح٩.

القُدرةِ عليها، و ينتهزُ فُرصتها من لاحريجة لـه في الدين»[1].

وهذا هو الفرق بين ذي الدين وغيره، فإن غرض الحركة الحسينية المقدّسة والسبب في مجئ مسلم رضوان الله عليه إلى الكوفة، ما أعلنه مسلم أمام ابن زياد في مجلس الحكم بعد اعتقاله رضوان الله عليه، إذ قال بعد ما اتهمه ابن زياد -لعنه الله- بتشتيت أمر أهل الكوفة وتفريق كلمتهم: ما لِهذا أتيت، لكنّكم أظهرتم المُنكر،ودفنتم المعروف، وتأمّرتم على الناس بغير رضاً منهم وحملتموهم على غير ما أمركم به الله، وعملتم فيهم بأعمال كِسرى وقيصر، فأتيناهم لنأمر فيهم بالمعروف، وننهى عن المُنكر، وندعوهم إلى حُكم الكتاب والسُنّة، وكُنّا أهل ذلك كما أمر رسول الله صلى الله عليه وآله[2].

مسلم جاء لإقامة أمر الله ونهيه، وللأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والى إقامة حكم الكتاب والسُنّة، وإقامتها يقتضي العمل الدقيق بأحكامها من غير أن يحيد المؤمن عنها قيد شعرةٍ يميناً أو يساراً وإلاّ فما الفرق بين المتديّنِ وغيره، ولماذا الثورة على الظالمين، وما الوجه في الاعتراض على سلوك أهل الكوفة وغيرهم من المتقاعسين عن اتباع أمر الله ونهيه، غير هذا.

إنّ هناك أمثلة كثيرة من سيرة النّبي الأطهر صلى الله عليه وآله وسيرة زهراء آل محمد عليهم السلام وسيرة علي عليه السلام أمير المؤمنين وسيرة الحسنين عليهما السلام بل من سيرة بقيّة الأئمة الأطهار من السجاد إلى المهدي عليهم السلام، تجري في هذا السياق وتصلح مأخذاً لِمسلمٍ وغير مسلم من الربانيّين المتمسّكين بحكم الكتاب والسُنّة، على أن موقف المؤمن المتديّن في المنعطفات هو اختيار حكم الكتاب والسُنّة وتنفيذه بدّقته، وإن أدّى إلى خسائر عاجلة، أي اختيار الآخرة على الأولى، ومكارم الأخلاق ومعالي الأمور على رذائلها وسفاسفها، وبهذا ونحوه شقّت الدعوة الإلهية طريقها إلى الأمام رغم كل الموانع والعراقيل والأهوال التي واجهتها، واستولت على قلوب الناس وأفكارهم، وإن خذلها أكثر الناس آناما، الاّ

(١)نهج البلاغة، الخطبة ٤١.

(٢)الملهوف، السيد ابن طاووس، ص١٢٢.

إن العاقبة لها على كل حال، أمرٌ مندكٌّ بها ولازم من لوازمها وأثرٌ من آثارها لا يتخلّف أبداً وإن طال الزمان.

قد يعجب المرء من سيرة علي أمير المؤمنين عليه السلام، إذ ينشغل بتجهيز رسول الله صلى الله عليه وآله وتهيئته إلى مثواه الأخير، دون أن يترك هذا يوماً أو يومين ليُنهي مسألة الخلافة بالشكل المطلوب ثُمّ ليتفرّغ لتجهيز النبي الاعظم صلى الله عليه وآله لكن، هل هذا مقبول؟ ان يُترك رسول الله صلى الله عليه وآله مسجّىً في بيته، وأصحابه وأهل بيته يتقاتلون على المناصب والأموال والزعامات، وأيّة أُمةٍ هذه، وإلى أين ستنتهي وهذه أولى توجهاتها بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، فمع كونه صاحب الحق بنصّ القرآن والسُنّة، ومع أهمية موضوع الخلافة فانّه قدّم أمر التجهيز على أمر الالتفات إلى الخلافة وشؤونها حتى يفرغ.

وهذا عليٌ أمير المؤمنين في حربه مع عائشة إذ أظهرت بُغضها له قُرابة الأربعين عاماً حتّى حرّضت عليه كثيراً من الناس-كما صنعت مع عثمان من قبل- وجيّشت ضده أهل البصرة، وما اتبعها الناس ولا أخذ كلامها منهم مأخذاً إلاّ لأنّها زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله وَكَأَنّ الحقّ مُناطٌ بهذه العناوين، والعجب من هذه الأمة، والتي تُصغي لعائشة لانّها زوجة النبي صلى الله عليه وآله ولا تُصغي لعليّ صاحب يوم الغدير والذي بايعته في ذلك اليوم الأمة جمعاء وفي المبايعين -أبي بكرٍ وعمر- ونزل في حقّه ما لا يُحصى من الآيات وذكر فيه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ما لا يُحصى من النصوص حتى قال فيه:

«علي مع القرآن والقرآن مع علي، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»[1].

«علي مع الحق والحق مع علي، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض يوم القيامة»[2].

«لا يحبّ علياً إلاّ مؤمن ولا يبغضه إلاّ منافق»[3]

وقوله صلى الله عليه وآله لعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام:

(١)فضائل الخمسة من الصحاح الستّة، السيد الفيروز آبادي، جـ٢ ص١١٢ عن مستدرك الصحيحين.

(٢)فضائل الخمسة، جـ٢ ص١٠٩ عن تأريخ بغداد للخطيب البغدادي.

(٣)فضائل الخمسة ،جـ٢ ص٢١٠ عن كنز العمال.

«أنا حرب لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم»[1]

ومع ذلك تُقَدِّمُ بعض الأمة عليه من لايُقاس به ابداً.

أقول: مع كل ما صنعت معه عائشة فانّه غضّ عنها وأرجعها إلى دارها بحفظٍ وحراسة، وكذا حاله مع مروان و ابن الزبير – اعضادها في فتنة البصرة –.

ومن نفس المنطلق أعرض عن عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة يوم اتقيا الموت بسو ئتيهما.

ولما احتلّ معاوية شريعة الماء بصفيّن منع أمير المؤمنين وجيشه من شرب الماء المباح لكل كائنٍ حيّ، فأمر علي عليه السلام بمقاومتهم وإجلائهم عن الشريعة فنجح جُنده في ذلك وأصبحت الشريعة بيد علي عليه السلام فأمر جنده بأن يفسحوا مجالاً لجيش معاوية كي يستقوا من الماء وبشربوا.

وهذا الحسين عليه السلام شهيد الإسلام الأعظم سقى الحر وجيشه وخيلهم وهم قُرابة الألف نفر مع ألف فرس، ثم بعد أيام منعوا عنه الماء حتى قتلوه في عرصات كربلاء ظمآناً مع أهل بيته وصحبه الكرام بما فيهم عبد الله الرضيع حفيد علي وفاطمة عليهما السلام.

والأمثلة والمصاديق لا تنتهي، وأصل المطلب واضح لِكُلّ مؤمن، وانّما نؤكّد عليه، ونربط فعِل مسلم بهذا الاتجاه وبهذه الروح والمُثل التي رفعت أصحابها إلى أعلى عليين ونصرتهم في الدنيا على كل الطواغيت، لكي يتّضح جزء العلّة في أمثال هذه المواقف، والتي هي غُرّة في جبين الدهر.

إعلان مسلم انطلاقة الثورة

التساؤل السادس: لم يكن من المقرّر أن يبدأ مسلمٌ بتفجير الثورة في وجه السلطة الأموية الفاجرة، بل: أن يستطلع أحوال الكوفة جيداً، ثُمّ يكتب للإمام عليه السلام بصدق أهل الكوفة في معاهداتهم ومواثيقهم كي يحزم الإمام عليه السلام أمره، وَيَقْدِمُ الكوفة ثم

(١) فضائل الخمسة، جـ١ ص٢٥١ عن صحيح الترمذي.

ليستلم زمام الأمر ويوجّه الناس الوجهة المطلوبة.

فَلِمَ فجّر مسلمٌ بركان الثورة قبل مجئ الإمام القائد عليه السلام.

يظهر من دراسة النصوص المتوفرة انّ مسلماً كان حريصاً على إبقاء الوضع هادئاً إلى حين قدوم الإمام عليه السلام، ولذلك لم يحرّك عجلة الثورة عند ورود ابن زياد مع قلة عدد أعوان الطاغية في ذلك الحين.

غير أنّ اعتقال هاني بن عروة وانكشاف المقرّ السري لمسلم، وانكشاف خططه من أخذ البيعة للحسين وجمعه للأموال والسلاح واتصاله المستمر مع زعماء ووجهاء ورجالات الكوفة، بواسطة معقل - جاسوس ابن زياد - غيّر مجرى الأحداث تماماً، فأصبح مسلم بين محذورين :

١. الاستمرار في الوضع الحالي مع انكشاف كل شئ، وَ بَدْءِ ابن زياد بضرب معاقل الثورة في الصميم، وهذا يعني انهدام كل شئ قبل وصول الإمام عليه السلام إلى أطراف الكوفة، ووصول الخطر العظيم إلى الإمام شخصاً.

٢. تفجير ثورة محدودة، والسيطرة على الساحة من خِلالها إلى حين حضور الإمام، وبهذا يُمكن إيقاف الانهيار جزئياً والمحافظة على استقرار الوضع.

فاختار مسلمٌ الخيار الثاني وهو الطريق الأسلم إلى الهدف المنشود، غير إن أمراً ليس بالحسبان -بل لعلّه ممّا لا نظير لـه في تأريخ الدنيا - حصل فأدّى إلى نكسةٍ هائلة وهو:

غدر أهل الكوفة وخذلانهم لمسلم، بعد الإصغاء لأراجيف ثلّة قليلة مِن أتباع ابن زياد، مع أنه لم تواجههم أية قوّة عسكرية أو أيّ خطرٍ يُحسب له حِساب.

ومع أن الأساس في الحركة كلها مكاتباتهم للإمام وعهودهم ومواثيقهم وأيمانهم المغلّظة واستغاثتهم به لتخليصهم من جور بني أمية وظلمهم وطغيانهم فكان اللازم عليهم التصبّر والتآزر وتحمّل الصعاب والمخاطر إلى حين ورود الإمام عليه السلام ثم العمل تحت قيادته لكفّ أيدي بني أمية ولردّ عاديتهم وإزاحتهم عن منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وعن مقام الأنبياء والأوصياء والأبرار والربانيّن، كما عليهم حماية مبعوثه ونصرته

والأخذ بأمره ونهيه، وكل هذا مقتضى عهودهم ومواثيقهم، فضلاً عن أصل التكليف الإسلامي المتوافق مع مطلبهم ومواثيقهم.

إن أكثر الناس إنّما تقيس صحة اختيارات المرء وطريقة توجيهه لمسار الأحداث مِن خلال النتائج، وهذا خطأٌ، لأنّه ما مِن أحدٍ يستطيع استكشاف المجرى الذي ستسير فيه الأحداث كي يحدّد المرء مساره واختياره وِفْقَهُ - باستثناء المعصوم -.

وإنما مقياس صحّة الاختيار من خلال مناسبته للظروف المحيطة والإمكانيات المتاحة، والعواقب لا يعلم بها أحد -غير المعصوم كما قدّمنا- وعلى المرء العمل وفق تكليفه ووفق إمكانياته مع بذل جهدٍ، وإخلاصٍ، ومراقبةٍ لله سبحانه، والنصيحة لدينه وإمامه وأُمّته، وهذا كله قد فعله مسلم والباقي ليس من مسؤوليته ولا من تكليفه.

لقد كان مسلمٌ وفق مستوى الأحداث، ولو حَلّ أيّ أحدٍ مكانه - باستثناء المعصوم - لما تمكّن مِن فعل أفضل ممّا صنعه أبداً - بحسب دراسة ظروف مسلم زماناً ومكاناً وإمكانيات - فلا ملامة عليه البتّة، والملامة على طرفين: أهل الكوفة الغَدَرة، والدولة الطاغوتية المتمثلة بابن زيادٍ وبطشه وتمرّده على الله وأحكامه و قوانينه - و من وراءه يزيد و كل من سانده في جريمته -.

بل العكس هو الصحيح، فليس المقام مقام نفي التهمة عن بطل الإسلام العظيم مسلم بن عقيل، بل مقام تمجيده وتكريمه، وبيان جهوده وتضحياته التي شكره الله سبحانه عليها والتي عبّر عنها ما روي عن النبي الأكرم ﷺ وعن سيد الشهداء عليه السلام وقد تقدّم ذكر هذا مِنّا في أوّل البحث.

إنّ من يتأملّ في مسيرة الحركة الالهيّة التي يقودها الأنبياء والأوصياء والربّانيوّن، وينضوي تحت لوائِها المؤمنون والموحّدون والطبقة الواعية المثقفة - حقيقةً - من بين شرائح المجتمع المختلفة، يلمس كثرة ما واجهها من أهوال، وما مرّت به مِن انكسارات، وما قدّمته من تضحياتٍ هائلة، وهذا المعنى متّصل الحلقات من آدم أبي البشر إلى خاتم الأنبياء محمّد ﷺ.

وإذا لاحظنا النتائج التي وصلت إليها بعض الرسالات العظيمة كالموسويّة والعيسويّة من أوّل بدءها إلى يومنا هذا، مع إنها من اكثر الرسالات سعةً وتأثيراً في حياة البشرية -باستثناء رسالة إبراهيم الخليل عليه السلام والتي لها تأثير عميق جدّاً في الواقع البشري- لَرَأَيْنا -إضافةً لما ذكرناه بحقّ الجميع- بروز مجموعةٍ من النتائج المعاكسة لأهداف النبيّين العظيمين عليهما السلام ممّا حَرَفَ أتباع هاتين الرسالتين عن مسيرة الاستكمال الانسانيّة، وهذا واضح جداً من تعلّق اليهود بفكرة أنهم شعب الله المختار، ومن محاربتهم الشديدة للمسيحية وللإسلام، ومن تكثيف جهودهم في مواجهة ومقاومة الديانات التوحيدية دون غيرها، ونشر الفساد في أرجاء المعمورة.

ومن تعلّق المسيحيين بفكرة الثالوث الخرافية، وبفكرة فِداء المسيح عليه السلام لأتباعه والتي لاتقلّ سُخفاً ووهناً عن التي تقدّمتها، ومن مناهضتهم الشديدة للإسلام ولنبيّه ولعقائد الإسلام وتشريعاته.

مع إن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله جاء متمّماً لرسالات من تقدّمه، وبتوقير المرسلين بها وتعظيمهم.

كما سادت في هاتين الديانتين من التشريعات، وظهر في نهج اتباعها من السلوكيات ما تتبرأ منه أيّة شريعةٍ سماويةٍ ولا نحتاج إلى التوسّع في هذا الباب، فالأمر واضح لكل احد.

وقد انتقلت مسيرة الرسالات الإلهية نقلةً هائلةً إلى الأمام، ببعث خاتم الرسل ومحرّر الإنسانية محمّد بن عبد الله صلى الله عليه وآله إذ أنتجت تضحياته وجهوده ومعاناته وصبره آثاراً هائلة لم يحققها أيّ نبي من قبله، فتجذّر التوحيد في الأرض وقامت شجرة الإسلام على سوقها ولا يزال الأمر في اطّراد حتى تُختم صفحة من تأريخ البشرية وتُفْتَح صفحةٌ جديدةٌ بيضاء مشرقة بظهور خاتم الأوصياء والمعصومين وخلفاء الله في الأرض حفيد رسول الله صلى الله عليه وآله :الإمام محمد بن الحسن المهدي عجل الله فرجه صلوات الله عليه وسلامه.

إنّ ما نُريد قوله من خلال كُلّ هذا: انّ ما أصاب حركة مسلم – بل الحركة الحسينية

بشكل عام – ليس بجديدٍ على مسيرة الرسالات الإلهية.

فبالرغم من كل الجهود والتضحيات والمعاناة وبالرغم من كُلّ ما يتحلّى به الأنبياء والأوصياء والربانيّون من كريم خصالٍ ولطيف معشرٍ ومن بذلٍ للغالي والنفِيس لأجل دعم رسالة السماء ولجلب الناس لأجواء الهداية والفضيلة.

وبالرغم من الإمكانيات الهائلة المتوفرة لخلفاء الله في الأرض –فمن يحيي الموتى، ويُبرأ الأكمه والأبرص، ويشقّ القمر، ويصنع كُلّ مستحيل بإذن الله وإقداره، كيف يعسر عليه جلب العشرات أو المئات من الناس لاتّباعه وللأخذ بهديه، ولاقتفاء آثاره مع إن المجموعة البشرية لبّت كل دعوة واتبعت كل ناعق واقتفت أثر كل دجّال حتى عبدت البقر والجرذان والشمس والكواكب والنيران، والحجارة... إلى آخر سلسلة المعبودات التي لا تنتهي– فإن عدد من اتبع أولئك الأطهار كان محدوداً جداً لا يتناسب مع عظمة قضيتهم ومع عظيم جهودهم وتضحياتهم.

أعظم عقبةٍ واجهت الأنبياء وأتباعهم وبدّدت جهودهم، وحرفت مسيرتهم و أرجعت بعض متبعيهم على أعقابهم هي: شريحة الحكام والمتسلطين على رقاب الأمم.

لكنها – حقيقةً – ليست بشئ أمام الأنبياء لو أرادوا لهذه العقبة الزوال فمن يرتبط بخالق الوجود ومدبّره ارتباطاً مباشراً لايُعجزه شئ وإن عَظُم.

فحركة مسلم – بل الحركة الحسينية كُلّها – ضمن الخط والمسار العام لطريق الرسالات الإلهية.

ومن خلال ملاحظة ما قدّمناه نعلم:

أنّ ما أصاب الديانات الإلهية، إنما هو ضمن التخطيط الرّباني العام، وضمن القوانين والسُنن الإلهية الحاكمة لحركة البشرية وقد قضى الله سبحانه وكتب:

أن العاقبة للمتقين وأنّ جنده هم الغالبون و﴿**كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي**﴾[1].

(١)سورة المجادلة، الآية ٢١

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾[1].

إذ ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً﴾[2]. وغيرها من الآيات والنصوص والتي تبيّن قضاء الله تعالى الحتمي وحكمه اللازم بخلافة أوليائه للأرض وبتسلّطهم على مشارق الأرض ومغاربها وبسيادة دينه وشريعته وإرادته في أرجاء المعمورة.

وتأمل في الآية المباركة التالية -بضميمة الروايات المبيّنة أن كل ما جرى في بني إسرائيل فسيجري في هذه الأمة حذو القذّة بالقذّة-[3] ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾[4].

فوراثة الأرض للمستضعفين من حملة الدين الإلهي الحق، ومصير فرعون وقومه إلى الدمار والاضمحلال بل الزوال.

وأين هذه السُنّة التأريخية من حسابات الظالمين والجبابرة ،وبأيّة سُنّة وقانونٍ يواجهونها إذا كان الانتصار نتيجةً حتمية لحالة الاستضعاف ويتناسب معها طرديّاً.

إن المؤمن إذا وعى هذه الحقائق القرآنية، والتأريخية، والواقعية فسوف لن تهدّه الانكسارات الظاهرية والوقتية، ولن يُكثر من التساؤلات والمناقشات إزاء ذلك الحدث، وتلك الحركة، ويعلم إن المهمّ بالدرجة الأساس هو تأدية تكليفه المأخوذ من منبعه ومصدره المرضيّ الهيّاً، أما النتائج والعواقب فإنها بيد الله سبحانه وهو الضامن

(١)سورة الأنبياء عليهم السلام، الآية ١٠٥.

(٢)سورة النور، الآية ٥٥.

(٣) بحار الأنوار، جـ٢٨ ص٨، وهذا المعنى مرويّ في صحيح البخاري الباب ٥٠ من كتاب الأنبياء، والباب ١٤ من كتاب الاعتصام، وفي صحيح مسلم الحديث ٦ من كتاب العلم وكذا في سنن ابن ماجة ومسند أحمد.

(٤)سورة الأعراف، الآية ١٣٧.

لإنجاح جهود أوليائه، وبتحويل انكساراتهم إلى نصرٍ مبين، ولو لم يكن من نتيجةٍ لكفاح الأنبياء والأوصياء وأتباعهم من المؤمنين والمخلصين سوى الجنّة لكفى، كيف وقد وعدهم الله سبحانه بوراثة الأرض وبأنّ مشارق الأرض ومغاربها ستوؤل إليهم وقد ادّخر لهم كنزاً سيجلو به الظُلمة ويمحق به الشرك ومعاقله، ويسترجع به كل حق، ويأخذ به كل ثأر، ويضع به كل شيءٍ موضعه الصحيح، ذلك هو: محمّد بن الحسن أبو القاسم المهدي، روحي وأرواح العالمين لـه الفداء.

موجز عن مسلم

هو: مسلم بن عقيل بن أبي طالب -عبد مناف- بن عبد المطلب بن هاشم.

سمّاه أبوه مسلماً وهو اسم حديث الظهور، قليل التداول، إلاّ إنه يُنبئ عن اعتزاز الوالد بالإسلام.

عاش مسلم وتربى في بيوت كانت مهبط جبرئيل، وكانت تنهل منها الأُمّة معالم التوحيد ومسالك الإيمان.

ارتشف العلم من عمّه عليّ أمير المؤمنين، ومن الإمامين السبطين الحسن والحسين.

فلا عجب أن ينهض بالمهام الجِسام، وأن تُوكَل إليه ما ينوء بحمله نخبة الرجال.

حضر مسلم وقعة صفين فكان في ميمنة الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام مع الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر.

كان -بحسب أحد الأقوال- بعمر خمس وأربعين سنة، حين بعثه ابن عمّه الإمام الحسين عليه السلام رائداً وسفيراً له إلى الكوفة لاستطلاع موقف أهلها عن قرب بعد ورود الكثير من مكاتباتهم إليه تحثه على الثورة وتؤكد له النصرة.

كان لمسلم دور عظيم في الثورة الحسينية كما انه احد قرابينها.

كان صهر أمير المؤمنين علي عليه السلام على ابنته رقية وقد أولدها عبد الله الشهيد في الطف.

له أربع أو خمس من الذكور وبنت واحدة.

استشهد في الثامن أو التاسع من ذي الحجة سنة ستين للهجرة.

الآمر بقتله: عبيد الله بن زياد«لع».

المباشر بقتله: بكر بن حمران«لع».

دُفن في الجهة الشرقية من مسجد الكوفة المبارك -وهو نفس محل مرقده الشريف في أيامنا هذه، ويقابله مرقد هاني بن عروة-.

هذا وقد ورد أنّ الشهداء من آل عقيل في الطف ست عشرة وهذا يعني أنهم

أُبيدوا، لولا أنّ نور الله لا يُطفأ، وأنّه يُتْمِر جهود أوليائه وتضحياتهم خيراً كثيراً، كما أنّه لِأعدائه بالمرصاد، فيُحيل جهودهم الى رمادٍ ثُمّ يُذريها بعواصف لا تُبقي لهم منها غير الخيبة والندم وعظيم النكبات.

وقد ورد: أن علي بن الحسين كان يميل إلى وِلْد عقيل فقيل له: ما بالك تميل إلى بني عمّك هؤلاء دون آل جعفر، فقال:«**إنّي اذكر يومهم مع أبي عبد الله الحسين بن علي عليه السلام، فأرقّ لهم**»[1].

﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (٣٢) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾[2].

(١) كامل الزيارات، ص ٢١٤.

(٢) سورة الرعد الآيات ٢٣-٢٤

نصوص زيارة سيدنا
مسلم رضوان الله عليه

تقف على بابه وتقول :

«سلام الله وسلام ملائكته المقربين وأنبيائه المرسلين وعباده الصالحين وجميع الشهداء والصديقين، والزاكيات الطيبات فيما تغتدي وتروح عليك يا مسلم بن عقيل، اشهد لك بالتسليم والتصديق والوفاء والنصيحة لخلف النبي ﷺ المرسل، والسبط المنتجب، والدليل العالم، والوصي المبلغ، والمظلوم المهتضم. فجزاك الله عن رسوله وعن أمير المؤمنين وعن الحسن والحسين افضل الجزاء، بما صبرت واحتسبت واعنت، فنِعم عقبى الدار، لعن الله من خذلك وغشك. اشهد انك قتلت مظلوما وان الله منجز لكم ما وعدكم، جئتك يا عبد الله وافدا إليكم، وقلبي لكم مسلّم وأنا لكم تابع، ونصرتي لك معدة، حتى يحكم الله بأمره وهو خير الحاكمين، فمعكم معكم لا مع عدوكم، اني بكم وبآبائكم من المؤمنين، وبمن خالفكم وقتلكم من الكافرين، قتل الله امة قتلتكم بالأيدي والألسن».

ثم ادخل وانكب على القبر وقل :

«السلام عليك أيها العبد الصالح، المطيع لله ولرسوله ولأمير المؤمنين وللحسن والحسين صلى الله عليهم وسلم، السلام عليك ورحمة الله وبركاته ومغفرته، وعلى روحك وبدنك. اشهد واشهد الله انك مضيت على ما مضى به البدريون والمجاهدون في سبيل الله، المناصحون في جهاد أعدائه، المبالغون في نصرة أوليائه، الذابون عن أحبائه، فجزاك الله افضل الجزاء، وأوفر جزاء أحد ممن وفى ببيعته، واستجاب له دعوته، وأطاع ولاة أمره. اشهد انك قد بالغت في النصيحة، وأعطيت غاية المجهود، فبعثك الله في الشهداء، وجعل روحك مع أرواح السعداء، وأعطاك من جنانه أفسحها منزلا،

وأفضلها غرفا، ورفع ذكرك في العليين، وحشرك مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا اشهد انك لم تهن ولم تنكل، وانك مضيت على بصيرة من أمرك، مقتديا بالصالحين، ومتبعا للنبيين، فجمع الله بيننا وبينك وبين رسوله وأوليائه في منازل المخبتين، فإنه أرحم الراحمين».

ثم انحرف إلى عند الرأس، فصل ركعتين وصل بعدها ما بدا لك، وسبح وادع بما أحببت، وقل:

«اللهم صل على محمد وآل محمد ولا تدع لي ذنبا إلا غفرته، ولاهما إلا فرجته، ولا مرضا إلا شفيته، ولا عيبا إلا سترته، ولا شملا إلا جمعته، ولا غائبا إلا حفظته وأديته، ولا عريا إلا كسوته، ولا رزقا إلا بسطته، ولا خوفا إلا آمنته، ولا حاجة من حوائج الدنيا والآخرة لك فيها رضى ولي فيها صلاح إلاّ قضيتها، يا ارحم الراحمين».

فإذا أردت وداعه رضوان الله عليه تقف عليه كوقوفك الأول وقل:

«استودعك الله وأسترعيك واقرأ عليك السلام، آمنا بالله وبرسوله وبكتابه وبما جاء به من عند الله، اللهم اكتبنا مع الشاهدين، اللهم لا تجعله آخر العهد من زيارتي قبر ابن عم نبيك صلى الله عليه واله، وارزقني زيارته ما أبقيتني، واحشرني معه ومع آبائه في الجنان، وعرف بيني وبينه وبين رسولك وأوليائك. اللهم صل على محمد وآل محمد وتوفني على الإيمان بك، والتصديق برسولك والولاية لعلي بن أبي طالب والأئمة عليهم السلام».

وادع لنفسك ولوالديك وللمؤمنين والمؤمنات، واكثر من الدعاء ما شئت، واخرج في دعة الله[1].

زيارة أخرى لمسلم بن عقيل سلام الله عليه:

إذا وصلت إلى ضريحه فقف عليه مستقبل القبلة وقل:

«السلام عليك أيها الفادي بنفسه ومهجته، الشهيد الفقيد المظلوم، المغصوب حقه،

(١) المزار، محمد بن المشهدي، ص ١٧٧.

المنتهك حرمته، السلام عليك يا من فادى بنفسه ابن عمه وفدى بدمه دمه، السلام عليك يا أول الشهداء وإمام السعداء، السلام عليك يا مسلم يا من أسلم نفسه، وسكن على طاعة الله رمسه، وأخمد حسه، السلام عليك يا ابن السادة الأبرار، ويا ابن أخي جعفر الطيار، و ابن أخي علي الفارس الكرار، الضارب بذي الفقار، السلام عليك ورحمة الله و بركاته، يا من أرضى بفعاله محمد المختار والملك الجبار، السلام عليك لقد صبرت فنعم عقبى الدار، السلام عليك يا وحيدا غريبا عن أهله بين الأعداء بلا ناصر ولا مجيب، أشهد بين يدي الله أنك جاهدت وصبرت وخاصمت أعداء الله على طاعته وطاعة نبيه ووصيه ووليه، فمضيت شهيدا وتوليت حميدا، إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم احشرني معه ومع أبيه وعمومته وبنيهم، ولا تحرمني في بقية عمري زيارته».

ثم تقبل الضريح وتصلي صلاة الزيارة وتهدي ثوابها له، ثم تودعه وتنصرف إن شاء الله[1].

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٩٧ ص ٤٢٨ عن مصباح الزائر ص ٥٣.

أبيات في مسلم

من قصيدةٍ للسيد باقر الهندي:

بكتك دماً يابن عم الحسين ... ولا بَرِحتْ هاطلات العيون
لأنّك لم تُروَ من شربة ... رموك من القصر إذ أوثقوك
وسَحباً تُجرُّ بأسواقهم ... أتقضي ولم تبككَ الباكيات
لئن تقضِ نحباً فكم في زرود ... مدامع شيعتك السافحة
تحييك غادية رائحة ... ثناياك فيها غدت طائحة
فهل سَلِمَتْ فيكَ من جارحة ... ألستَ أميرهُمُ البارحة
أمالَكَ في المصر من نائحة ... عليك العشيّة من صائحة[1]

(١) مقتل الحسين، السيّد المقرّم، ص ١٦٥.

من مصادر البحث

١- القرآن الكريم.
٢- الإرشاد الشيخ المفيد
٣- الملهوف السيد ابن طاووس
٤- بحار الأنوار الشيخ المجلسي
٥- نهج البلاغة السيد الرضي
٦- وسائل الشيعة الشيخ محمد الحر
٧- فضائل الخمسة من الصحاح الستة للسيد مرتضى الفيروزآبادي
٨- معجم رجال الحديث السيد الخوئي
٩- تنقيح المقال الشيخ عبد الله المامقاني
١٠- حياة الإمام الحسين الشيخ القرشي

المحتويات

روايتان	٥
مقدمة	٧
روايتان في فضل سيدنا مسلم رضوان الله عليه	٩
تساؤلات	١٣
أصل الحاجة إلى مبعوث	١٣
اختيار مسلم	١٥
الإسراع بالكتابة إلى الإمام عليه السلام	١٨
توسعة مسلم لمهامّ عمله	٢١
الإيمان قيد الفتك	٢٢
إعلان مسلم انطلاقة الثورة	٢٧
موجز عن مسلم	٣٥
نصوص زيارة سيدنا مسلم رضوان الله عليه	٣٧
زيارة أخرى لمسلم بن عقيل سلام الله عليه:	٣٨
أبيات في مسلم	٤١
من مصادر البحث	٤٣
المحتويات	٤٥